أهم الملامح الفنية
في
الحديث النبوي

أ.د. نور الدين عتر

رئيس قسم علوم القرآن والسنة بجامعة دمشق
أستاذ التفسير والحديث في كليات الشريعة والآداب
بجامعتي دمشق وحلب

أهم الملامح الفنية في الحديث النبوي

هذه الدراسة من أهم دراسة أدبية ، بل هي أهم دراسة بيانية بعد دراسة اعجاز القرآن الكريم ، لما أنها تبين النسق الذي درجت عليه البلاغة النبوية ، وما اختصت به من المزايا حتى فاقت كل بلاغة صنعها الإنسان .

ونمهد للدراسة بهذه الشهادات من أئمة البلغاء ، وما ترمز إليه من اشارات لها أهميتها :

يقول علامة الأدب وناقد الشعر أمام نحاة البصرة : يونس بن حبيب(١) : « ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله ﷺ »(٢) .

وقال إمام التفسير البلاغي للقرآن جار الله الزمخشري(٣) :

« هذا اللسان العربي كأن الله عزّت قدرته مخضه وألقى زيدته على لسان محمد عليه وآله أفضل الصلاة وأوفر السلام ، فما من خطيب يقاومه إلا نَكَص متفكِّك الرجل ، وما من مِصّقَعٍ يُناهِزهُ إلا رجع فارغ السَّجْل ، وما قُرِنَ بمنطقِه إلا كان كالبِرْذَوْنِ مع الحصان المُطَهَّم ، ولا وقع من كلامه شيءً في كلام الناس إلا أشبه الوَضَح في نَقَبَةِ الأَدْهم .

قال عليه الصلاة والسلام : أوتيت جوامع الكلم(٤) . وقال : « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ، واسترضعت في بني سعد بن بكر »(٥) أهـ .

وقال الإمام القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي(٦) : « وأما فصاحة اللسان ، وبلاغة القول ، فقد كان النبي ﷺ من ذلك بالمحل الأفضل ، والموضع الذي لا يجهل ، سلامة طبع ، وبراعة منزع ، وايجاز مقطع ، ونصاعة لفظ ، وجزالة قول ، وصحة معان ، وقلة تكلف . أوتي جوامع الكلم ، وخُصَّ ببدائع الحكم ، وعلم ألسنة العرب ، يخاطب كل أمة منها بلسانها ، ويحاورها بلغتها ، ويباريها في منزع بلاغتها ، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه ، وتفسير قوله . من تأمل حديثه وسبره علم ذلك ، وتحققه »(٧) .

معالم البلاغة النبوية

هذه مقالات أئمة في البلاغة بعضها مجمل والبعض الآخر مفصّل لمعالم بلاغة الرسول ، تشهد كلها ببلوغ الحديث النبوي قمة البلاغة التي تصدر من فصحاء العرب ، بل عن أفصح فصحاء العالم ، وكلها عبارات تشير إلى معالم البلاغة ، وإن كانت لا تحيط بها ، بل تشهد بعدم الاحاطة ، لكنها على كل حال لا تكتفي بكيل الثناء وتقديمه بمجرد الدعاوي ، بل إنها تتضمن البيان الجلي عن برهان ما يقوله كل قائل منهم وربما جاوز ذلك للأطناب في ذكر الشواهد ، على نحو ما تجده عند الجاحظ ثم الرافعي .

وقد رأينا بالسير والدرس لما قدمته الدراسات الأدبية عن البلاغة النبوية أن نسلك طريق التعمير المدرسي الأقرب للأسلوب العلمي في تبيان أوجه هذه البلاغة ، لايضاح سبيل فهمها أمام الدارس ، ولأبعاد البحث عن التوهم الذي قد يتصور خاطئاً أن القضية عاطفية ، ليست منضبطة بأصول النقد الأدبي .

ونتيجة لذلك رأينا أن نقسم البحث تقسيماً يقدم الحظ الأكبر للدارس في فهم طبيعة هذه البلاغة العالية السامية ، والفصاحة النادرة ، ويلقي الضوء الأوضح على مزاياها وجهات العظمة الأدبية والفصاحة النادرة التي تميزت بها .

فقسمنا أوجه البلاغة النبوية إلى قسمين معالم البلاغة النبوية ، وخصائص البلاغة النبوية . ونبدأ ههنا بتفضيل معالم البلاغة النبوية فيما يلي :

١ - أن ألفاظ الأحاديث النبوية مألوفة مأنوسة ، إلا عندما ما يقتضي المعنى لفظاً يناسبه ، فيختار الرسول اللفظ الأقلّ إلفاً ، لكنه يتجنب الغريب الوحشي ، والسوقي المبتذل ، وألفاظه جزلة حين يقتضي المعنى الجزالة ، رقيقة حين يقتضي المعنى الرقة ، وفي الحالتين هي واضحة الدلالة على معانيها ، كل كلمة تعبر بدقة عن تمام معناها مستقرة في مكانها ، غير

قلقة ، ولا مستجلبة ، ولعل التوفيق بين هذين الجانبين من أشق ما يجتهد البليغ في تحقيقه ، وهو من أقوى الدلائل على قدرته البيانية ، وهذا وصف عام لكل الأحاديث .

كما يقول الرافعي : « أن أسلوب النبي ﷺ ، أسلوب منفرد ، في هذه اللغة ، قد بان من غيره بأسباب طبيعية فيه ، وانك لا ترى فيه حرفاً مضطرباً ، ولا لفظة مستكرهة على معناها ، ولا كلمة غيرها أتم منها أداء للمعنى » .

وهكذا أي حديث نظرت فيه وجدت فيه ذلك الوصف ظاهراً ، ظهور أجلى عن الحاجة لايراد الشواهد والدلائل من نصوص الحديث النبوي .

٢ - الوضوح وسهولة دلالة ألفاظ الأحاديث النبوية ، وكان النبي ﷺ يكره الاغراب ، ويكره التكلف ، ويكره فضول القول ، ولذلك لما خفي معنى من معانيه ، أو احتاج الدارس لاحاديثه لكثرة الرجوع إلى المعاجم ، إذا كان ذا معرفة جيدة باللغة العربية . وهذا الحديث يدل على ما ذكرنا أبلغ دلالة ، وهو الحديث المتفق عليه(٨) . «بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » . فالحديث مع خطورة موضوعه وأنه يبين أركان الإسلام إلى جانب ما فيه من لطائف البلاغة والبيان واضح الألفاظ ، سهل الفهم .

ولذلك : « لم تسقط له كلمة ، ولا بارت له حجة ، ولم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ، ولا أصدق لفظاً ، ولا أعدل وزنا ، ولا أجمل مذهبا ، ولا أكرم مطلبا ، ولا أحسن موقعا ، ولا أسهل مخرجا ، ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين عن فحواه من كلامه ﷺ » كما قال إمام البيان الجاحظ .

غير أنا قد يستشكل علينا من لم يتمعن مقاصد الكلام ، وغاية المرام بالألفاظ التي شرحها العلماء في كتب خاصة ، هي المعروفة بكتب غريب الحديث ، والتي يبلغ بعضها خمس مجلدات .

والجواب : أن مقياس الغرابة ليس هو فهم المبتعدين عن اللغة ، إنما هو السامعون ، وكان الصحابة يفهمون القسم الأعظم ، والجانب الأكبر من الحديث ، وقد يخفى على بعضهم بعض ألفاظه فيسأل عنه ، فيتلقى الجواب والشرح ، ويكون القصد افادة السامع الكلمة ، أو ايثارها لفضل موقعها وافادتها في مكانها ما لم يفده غيرها ، على أن استعمال مثل هذا اللفظ نلاحظ فيها انتقاء للفظ يوحي بمعناه ، ويمشي بالمرام منه من جرسه ووقعه في الاذن ، وموقعه بين الكلام . . .

وهكذا كما قال العقاد[9] : « فليس أقرب من هذا الأسلوب في ابلاغ الغرض منه . لا كلفة ولا غموض ولا اغراب ، وقلة الغريب -بل ندرته- في كلام النبي أجدر الأمور بالملاحظة في اقامة المثل والنماذج لأساليب البلاغة العربية .

محمد العربي القرشي[10] الناشيء في بني سعد العالم بلهجات القبائل حتى ما تفوته لهجة قبيلة نائية في أطراف الجزيرة ، لم يكن في كلامه كله غريب يجهله السامع أو يحتاج تبيانه إلى مراجعة ، وسر ذلك أنه يريد أن يبلغ أو يريد أن يصل إلى سامعه ، ولا يريد أن يقيم بينه وبين السامع حاجزاً من اللفظ الغريب أو المعنى الغريب ، ومن ذلك ما روى عنه عليه السلام أنه كان يعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه ، وأنه كان يبغض التكلف والاغترار بالبلاغة كما قال : « ان الله تعالى يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها » .

ويتعلق بهذه الفقرة أسلوب السجع ، وكان فاشياً في كلام العرب وفي خطبهم ، وبالاستقراء للنصوص نجد موقف البلاغة النبوية من السجع يدور مع الأصل الذي قررناه هنا وهو التزام عدم التكلف والتصنع في الكلام ، والحذر من استعمال السجع لغرض التأثير في غير الحق كما كان يفعل الكهان في الجاهلية .

وفي الحديث الصحيح(١١) أنه لما قضى النبي على جماعة بِدِيَةِ جنين سقط باعتداء امرأة منهم على الحامل ، فقال بعضهم وهو حَمَلُ بن النابغة الهُذَلي : يا رسول الله ، كيف يغرم من لا شرب ولا أكل ، ولا نطق ولا استهل : فمثل ذلك يُطَلّ .

فقال رسول الله ﷺ : « إنما هذا من اخوان الكهان » . من أجل سجعه الذي سجع .

قال الجاحظ(١٢): « وكأن الذي كره الاسجاع بعينها وإن كانت دون الشعر في التكلف والصنعة ان كهان العرب الذين كان أكثر أهل الجاهلية يتحاكمون إليهم ، وكانوا يدعون الكهانة وإن مع كل واحد منهم رئيساً من الجن. . . كانوا يحكمون ويلفظون بالاسجاع ، فوقع النهي في ذلك الدهر لقرب عهدهم بالجاهلية ، ولبقيتها فيها ، وفي صدور كثير منهم ، فلما زالت العلة زال التحريم » .

إلا اننا نرى بخلاف رأي الجاحظ أن المسألة ترجع إلى أصل عام هو التكلف الذي يمقته الإسلام ، وأيضاً محاولة إدحاض الحق بأسلوب السجع وتنسيق الكلام الذي اتبعه هذا القائل .

أما إذا سلم السجع من ذلك كله فهو زينة وحلية في الكلام ، لا يأباه أدب البلاغة النبوية ، بل يقبله ويقول به ، وفي الأحاديث كثير من السجع جاء

عفواً لم يتكلف له ، ولا هو مصطنع ، ومن ذلك :

١ - دعاؤه عليه السلام : (اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ودعاء لا يسمـع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن علم لا ينفع ، أعوذ بك من هؤلاء الأربع)(١٣) .

٢ - دعاؤه في تعويذ الحسن والحسين رضوان الله عليهما : « أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة »(١٤) .

٣ - حديث عائشة في هذه الخطبة النبوية التي خطبها انكاراً على قوم شرطوا في البيع شرطاً غير شرعي ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله . ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل ، وان كان مائة شرط ، قضاء الله أحق ، وشرط الله أوثق . وإنما الولاء لمن أعتق »(١٥) .

٤ - (ان الله حرم عليكم عقوق الأمهات ، ووأد البنات ، ومنعا وهات . وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المال)(١٦) .

ونضيف إلى هذه الأمثلة ما هو ملاحظ من التناغم والانسجام الموسيقي في نظام الكلام النبوي ، مع أنه نثر بحت ، فإذا صادف هذا التناغم ان انضم إليه السجـع العفـوي غير المتكلف ، ولا المتصنع أفليس من الحكمة قبوله والقول به ، أجل وذلك ما وقع في الأحاديث النبوية ، وهو المتبع أيضاً في غير السجع من أساليب التزيين والبديع ، وينطبق عليها جميعاً ما قاله العقاد في السجع(١٧) :

(ومذهبه في هذه الحلية اللطيفة مذهبه في كل حلية تليق بالرجل ، فحولة في القول ، وفحولة في الزينة ، فسجعه عليه السلام كحلية الذهب. . . ولا مزيد) .

٣ - مخاطبة كل إنسان على مقدار عقله ، مع مراعاة أن تكون الألفاظ ملائمة غاية الملاءمة للمعنى المطلوب ، وتقديم المعنى المناسب أيضاً للغرض الذي سيق لأجله الكلام ، ويكون كذلك وصف فعله وحاله متكافئاً مع الأمر الذي يأمر به أو النهي الذي يزجر عنه . وربما اختار لكلامه حالة خاصة من أحواله .

وهذا الذي ذكرناه يترجم المقصد الذي عرفوا به البلاغة ، حين قالوا : هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال .

ومن أمثلة ذلك الحديث الصحيح الذي ثبت في الصحيحين(١٨) في بر الوالدين ، حين سأل بعض الصحابة . من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله ؟ قال أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك : قال : ثم من قال : ثم أمك يقال : ثم من ؟ قال : أبوك .

فقد كرر الحديث الوصاية بالأم أولاً وثانياً وثالثة ثم في الرابعة قال : ثم أبوك . وهذا في غاية البلاغة ، لأن الأم آكد حقاً من الأب ، وذلك يحتاج للتأكيد ، كما أن حاجتها إلى حسن الصحبة وجميل العشرة ، وبذل المعروف أشد من الأب ، فان الأب أقوى من الأم ، وله في الأرض مراغم كثيرة وسعة . فضلاً عن أن حاجة الابن لأمه تضعف عندما يكبر ، بينما لا تضعف حاجته لأبيه بسبب الكبر ، وهذا من دواعي النسيان أو التقصير معها دون الأب ، فجاء الحديث بهذا التكرار والاهتمام والتأكيد ليقع في غاية المناسبة لمقتضى حال السائل ، بل حال كل إنسان .

ومن الأمثلة الهامة في ذلك خطبته الكبرى إلى العالم في حجة الوداع ، فقد كرر فيها كثيراً قوله (ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد)(١٩) ، وجعلها لازمة يختم بها كل فقرة من فقرات الخطبة ، ولا غرو في ذلك ، فإن هذه الجملة هي

خلاصة جهاد دائب وكفاح مرير استمر ثلاثاً وعشرين سنة ، من يوم أنْ بُعِثَ نبياً إلى العالم إلى تلك الوقفة ، التي لحق بالرفيق الأعلى بعدها بثلاثة أشهر ، ومما يلفت النظر افتتاحه المثير لهذه الخطبة الجامعة الذي يقول فيه : « أيها الناس ، اسمعوا مني أبين لكم ، فاني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا !!) .

فكان تكرار هذه اللازمة « ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد » في غاية الأهمية ، كيف ، وإنما تحول العالم كله ذلك التحول بهذا التبليغ ، وبهذا الاشهاد الذي حمّل الصحابة السامعين للخطبة ومن بعدهم مسئوليتهم الضخمة بحمل الأمانة وتلقي علمها والعمل بها ، ثم أدائها إلى العالم .

وربما أغرب الرسول في اللفظ يستعمله ، وان كان ذلك قليلاً ، لأن الذي يخاطبه قد آثران يستعمل الغريب في كلامه ، أو ربما كان ذلك طبعاً للرجل :

روى ان رجلاً سأله « أيُدالِك الرجل امرأته ؟ فأجابه : إذا كان ملفجا » .

فلما استعمل السائل اللفظ الغريب (يُدالِكُ) أي يماطل ، أجابه بنحو طريقته ، وقال إذا كان مُلْفَجا : بصيغة اسم المفعول ، وهو المحتاج المغلوب الفقير الذي أثقله الدين(٢٠) ، وقد يستعمل القسم لتأكيد القول ، وترسيخه ، والأحاديث في ذلك كثيرة ، ومن ذلك هذا الحديث الذي يعالج فيه صنيع المنافقين الذين لا يحضرون مجالس المسلمين ، ولا يشهدون معهم صلاة الجماعة ، كما أخرجه الشيخان(٢١) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب ، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس ، ثم أخالف إلى رجال فأحرّق عليهم بيوتهم .

والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم إنه يجد عَرْقاً سميناً أوْمَرماتين حسنتين لشهيد العشاء » .

فاستعمل صيغة القسم لتأكيد التهديد ، حتى يرغمهم على التخلي عن هذه الظاهرة الخبيثة ، التي تجعلهم محسوبين على الإسلام ، وما هم من مجتمع الإسلام في شيء .

ونلاحظ هنا أن القسم لا يأتي في الحديث كله إلا قسما بالله تعالى ، وذلك امتثالاً لحكم الشرع الذي يحرم على الناس القسم بغير الله تعالى .

لكن نلاحظ في صيغة القسم في الأحاديث ، كثرة استعمال هذا اللفظ : « والذي نفسي بيده » أو « والذي نفس محمد بيده » كما وقع في قصة شفاعة أسامة بن زيد في المخزومية التي سرقت ، فأطلقها عليه الصلاة والسلام كلمة مدوية في العالم تقرر المساواة بين الجميع أمام القانون بتأكيد غاية في الرهبة والقوة : « والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها »(٢٢) .

وقد دوى صدى هذا القسم في العالم فقررت الدنيا كلها مساواة الجميع أمام القانون .

كما يستعمل الاسم المتعارف « الله » كما في هذا الحديث : « والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثلُ ما يجعلُ أحدُكم أصبعَهَ هذه في اليَمِّ ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِع » أخرجه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه(٢٣) .

فالحديث يقصد إلى إزاحة غشاوة الغفلة عن الآخرة لما اعتاده الإنسان من نعيم الدنيا ، فبين غاية ضآلتها إلى جانب نعيم الآخرة ، وأكد هذا البيان بالقسم ، لتزداد الفكرة رسوخاً وعمقاً ، ويتمّ اقبال السامع على المطلوب منه ، ثم استعمل الحديث أسلوب الايضاح وهو الإشارة بالأصبع وهي السبّابة كما صرح في صحيح مسلم ، ومراده بذلك أن نعيم الدنيا بالنسبة لنعيم الآخرة في المقدار كذلك ، أو ما الدنيا في قصر مدتها وفناء لذتها بالنسبة للآخرة في

دوام نعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالأصابع إلى باقي البحر . ثم عبر بقوله : « فلينظر بم يرجع » ووضعه موضع قوله « فلا يرجع بشيء » لقصد التصوير الذي يجعل السامع مستحضراً لتلك الحالة بأن يستحضر صورتها شاهدة لديه .

وقد يستعمل الرسول الكلمة القاسية اللاذعة تحمل الأفكار الشديدة ، والتوبيخ الرادع ، فقد جاءه أحد ولاته ، وفي يده ما زعم أنه هدية أهديت إليه ، ورأى أنها من حقه ، فبين له النبي حكم الله في هذه ومثلها ، في أسلوب فيه الوخزة الناقدة ، والاشارة الموجعة :

روى البخاري بسنده[٢٤] قال : استعمل رسول الله ﷺ رجلاً على صدقات بني سُلَيم يدعى ابن اللتبيه وهي أمه ، بضم اللام وسكون التاء أو فتحها ، واسمه عبدالله - فلما جاء حاسبه ، قال : هذا مالكم وهذا هدية ، فقال رسول الله ﷺ : فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك ان كنت صادقاً ، ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : (أما بعد فأني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله ، فيأتي ، فيقول : هذا مالكم ، وهذا هدية أهديت لي ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته ، والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة ، فلا أعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء ، أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ، ثم رفع يديه حتى رؤى بياض ابطه ، يقول : اللهم ، هل بلغت ، بصرعيني ، وسمع أذني) . فذكر (الأم) في هذا المعرض مؤلم أشد الايلام ، منفِّر أشد التنفير من قبول مثل هذه الهدايا التي تقدم للولاة ، وكأن الجلوس في بيت الأب يأتي بشيء لأن الكسب من عمل الرجل ، أما الجلوس في بيت الأم فليس مظنة للحصول على شيء من المال ، ولا أمل للجالس فيه في هدية تهدى إليه لأنه يجلس حيث تجلس النساء ، لا عمل لهن إلا رعاية

شئون بيوتهن ، وما أشبهه -حينئذ- بهن في العجز عن الكسب وفي ضعف الطموح ، والرغبة عن الجد والكدح .

وفي كلمته - ﷺ - : « ان كان صادقاً » تعريض شديد موجع ، وكأني بهذا الرجل قد تصيب عرقاً ، واحترق أسفا ، وَلَظني به قد تمنى أن يتخلى عن كل نصيب له في الدنيا ليفتدي نفسه من سماع هذه الكلمة من رسول الله ﷺ .

٤ - الصناعة اللغوية :

هذا عنوان جامع لميزات متعددة من مميزات البلاغة النبوية تكلم عليها الرافعي وأضاف إليها عنواناً آخر هو صناعة البيان ، فنتكلم الآن في الصناعة اللغوية ، ثم نتلوها بالبيانية .

قال الرافعي(٢٥) :

(إذا نظرت فيما صح نقله من كلام النبي ﷺ على جهة الصناعتين اللغوية والبيانية : رأيته في الأولى -يعني الصناعة اللغوية- مسدد اللفظ محكم الوضع ، جزل التركيب ، متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات ، فخم الجملة ، واضح الصلة بين اللفظ ومعناه واللفظ وضريبة في التأليف والنسق ، ثم لا ترى فيه حرفاً مضطرباً ، ولا لفظة مستدعاة أو مستكرهة عليه . . .) .

يتمم هذا قول العقاد(٢٦) :

(وسر ذلك أنه يريد أن يبلغ ، أو يريد أن يصل إلى سامعه ، ولا يريد أن يقيم بينه وبين السامع حاجزاً من اللفظ الغريب ، أو المعنى الغريب . . .

وقد عرف عن النبي ﷺ في حياته الخاصة والعامة أنه كان قليل الكلام ، معرضاً عن اللغو ، لا يقول إلا الحق ، وان قاله في مزاح .

فمن ثم لا عجب أن يخلو كلامه من الحشو والتكرار والزيادة ، فإذا كرر اللفظ بعينه كما جاء في بعض المعاهدات ، فذلك أسلوب المعاهدات الذي لا محيص عنه ، لأن تكرار النص يمنع التأويل عند اختلافه) .

٥ - الصنعة البيانية :

وذلك انك تراه في ميدان هذه الصفة كما يقول الرافعي(٢٧) : « حسن المعرض ، بيّن الجملة واضح التفصيل ، ظاهر الحدود ، جيد الرصف ، متمكن المعنى ، واسع الحيلة في تصريفه ، بديع الاشارة ، غريب اللمحة ، ناصع البيان ، ثم لا ترى فيه احالة ولا استكراها ، ولا ترى اضطرابا ولا خطلا ، ولا استعانة من عجز ، ولا توسعاً من ضيق ، ولا ضعفاً في وجه من الوجوه .

وهذه حقيقة راهنة ، دليلها ذلك الكلام (النبوي) بجملته وتفصيله ، لا يجهلها إلا جاهل ، ولا يغفل عنها إلا غافل . . » .

وقد سبق الجاحظ للتعبير عن المزايا التي أوردها الرافعي في الفقرتين ، بكلام هام جامع ، أورده في كتاب البيان والتبيين(٢٨) ، تسوقه هنا لفائدته ، ولمزيد شرح أفكار الرافعي :

قال إمام البلغاء وخطيب الفصحاء مرو بن بحر الجاحظ في بلاغة الحديث النبوي :

« وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثرت معانيه ، وجلّ عن الصنعة ، ونُزِّه عن التكلف ، وكأن كما قال الله تبارك وتعالى : قل يا محمد (وما أنا من المتكلفين)(٢٩) فكيف وقد غاب التشديق ، وجانب أصحاب التقعير(٣٠) ، واستعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصور في موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشي ، ورغب عن الهجين السوقي ، فلم ينطق إلا عن ميراث

حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصة ، وشُيِّد بالتأييد ، ويُسِّر بالتوفيق .

هو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة ، وغشّاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الافهام ، وقلة عدد الكلام ، مع استغنائه عن اعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته .

« لم تسقط له كلمة ، ولازلت به قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ، ولا أفحمه خطيب ، بل يَبُدُّ الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتمس اسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج إلا بالصدق ، ولا يطلب الفَلَجَ(٣١) إلا بالحق ، ولا يستعين بالخِلابة(٣٢) ، ولا يستعمل المواربة ، ولا يهمزولا يلمز(٣٣) ، ولا يبطىء ولا يعجل ، ولا يسهب ولا يحصر(٣٤) .

« ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ، ولا أقصد لفظاً ، ولا أعدل وزنا ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح معنى ، ولا أبين في فحوى من كلامه ﷺ » .

٦ - العفوية والبداهة في القاء الحديث :

ان ما وصفناه وما سنذكره من بلاغة الحديث النبوي الذي يبلغ تلك المنزلة ، فإن هذا الكلام النبوي (ليس مما تكلف له صاحب الرسالة ، ولا داخلته الصنعة ، ولا كان يتلوّم على حوكه وسرده ، ولكنه عفو البديهة ، ومساقطة الحديث ، مما يجريه في مناقلة الكلام ، ومساق المحاضرة) .

« أما ما عرفناه عن غيره من فصاحة الفصحاء وبلاغة البلغاء ، فإن العرب وان هذبوا الكلام وحذقوه وبالغوا في أحكامه وتجويده ، إلا أن ذلك قد كان منهم عن نظر متقدم ، وروبية مقصودة ، وكان عن تكلف يستعان له بأسباب الاجادة التي تسمو إليها الفطرة اللغوية فيهم ، فيشبه أن يكون القول مصنوعاً

مقدّرا ، على أنهم مع ذلك لا يسلمون من عيوب الاستكراه والزلل والاضطراب ، ومن حذف في موضع أطناب ، وأطناب في موضع حذف ، ومن كلمة غيرها أليق ، ومعنى غيره أرد ، ثم هم في باب المعاني ليس لهم إلا حكمة التجربة ، والأفضل ما يأخذ بعضهم عن بعض ، تلّ ذلك أو كثر . والمعاني هي التي/ تعمر الكلام وتستتبع ألفاظه ، وبحسبها يكون ماؤه ورونقه ، وعلى مقدارها وعلى وجه تأديتها يكون مقدار الرأي فيه ووجه القطع به » .

« بيد أن رسول الله ﷺ كان أفصح العرب ، على أنه لا يتكلف القول ، ولا يقصد إلى تزيينه ، ولا ينبغي إليه وسيلة من وسائل الصنعة ، ولا يجاوز مقدار الابلاغ في المعنى الذي يريده ، ثم لا يعرض له في ذلك سقط ولا استكراه ، ولا تستزله الفجاءة ، وما يقتضيه(٣٥) القول على البداهة من أغراض الكلام عن الأسلوب الرائع ، وعن النمط الغريب ، والطريقة المحكمة .

وليس هذا قول مبالغة ، بل هو الحقيقة ، فمعظم الأحاديث صدر عنه لمناسبة سؤال أو حادثة ، وهذه كتب السنة عامة ، والكتب الخاصة ببيان أسباب ورود الحديث فيها آلاف أحاديث ، لا يخرج شيء منها عن حد ما وصفناه ، ولا ينزل عن قدر ما عرفناه .

مميزات البلاغة النبوية :

هذه ميزات تميزت بها البلاغة النبوية ، قد نجد من الميزة الواحدة شذرات في كلام كبار الشعراء أو البلغاء ، ولكنها لا توجد في كلام أحد بالكثرة والوفرة والشيوع الذي نجده في البلاغة النبوية .

وقد حَدَتْ هذه الظاهرة بعض العلماء من متقدمين وغيرهم إلى القول بأن

الحديث النبوي معجز ، وإنْ لم يقع به التحدي كما وقع التحدي بالقرآن الكريم ، ولحظوا في ذلك ما ذكرناه من المعنى .

لكن التحقيق الذي عليه الجمهور أن الحديث ليس معجزاً ، واستشهدوا بدلالة الواقع الملموس ، فان الناظر في كلام الصحابة الكبار الذين أطالوا ملازمته والتلقي عنه يجد في كلامهم كثيراً مما يشابه الحديث النبوي ، حتى ان من لم يعلم أنه من كلام الصحابي يظنه حديثاً نبوياً ، نحو ما نجده من روائع بلاغة أبي بكر الصديق وخطبه ، وكذلك علي بن أبي طالب وغيرهما كما ذكرنا .

إلا أننا نرى أن الحديث وإن لم يكن معجزاً ، غير أن فيه خصوصية ما اشتمل عليه من سمو الفصاحة والبيان ، ومزايا البلاغة العالية ، فقد توفر من ذلك فيه ما لا يتوفر في غيره . مما يجعله خصوصية نبوية ، وان لم يكن معجزة ، ويدل على ذلك الحديث المشهور : « أُعْطِيْتُ جوامع الكلم واخْتُصِرَ لي الكلامُ اختصارا »(٣٦) .

وقبل البحث في بيان هذه الخصائص نجد من المفيد جداً درس المنطلق والمقصد البياني الذي جعل للحديث النبوي طابعه الخاص المتميز .

وقد توصل الكاتب الناقد المفكر الحر عباس محمود العقاد إلى كشف اللثام عن هذا المقصد ببحث موجز مفيد جداً ، وقرر أنه (سمة الابلاغ) .
قال العقاد تحت عنوان : « محمد البليغ » .
« اللهم هل بلغت » !

هذه هي اللازمة التي رددها النبي في أطول خطبة الأخيرة ، وهي خطبة الوداع . وهي لازمة عظيمة الدلالة في مقامها ، لأنها لخصت حياة كاملة في كلمات معدودات . فما كانت حياة النبي كلها ، بعملها وقولها ، وحركتها

وسكونها ، إلا حياة تبليغ وبلاغ ، وما كان لها من فاصلة خاتمة أبلغ من قوله عليه السلام وهو يجود بنفسه : « جلال ربي الرفيع فقد بلغت » !

ولصدق هذه الدلالة نرى أن السمة الغالبة على أسلوب النبي في كلامه المحفوظ بين أيدينا هي سمة الابلاغ قبل كل سمة أخرى ، بل هي السمة الجامعة التي لا سمة غيرها ، لأنها أصل شامل لما تفرق من سمات هي منها بمثابة الفروع .

وكلام النبي المحفوظ بين أيدينا إما معاهدات ورسائل كتبت في حينها ، وأما خطب وأدعية ، ووصايا وأجوبة عن أسئلة . . والابلاغ هو السمة المشتركة في أفانين هذا الكلام جميعاً ، حتى ما جرى منه مجرى القصص أو مجرى الأوامر إلى المرؤسين أو مجرى الدعاء الذي يلقنه المسلم ليدعو الله على مثاله . . .

ونحن إذ نؤيد ما ذهب إليه العقاد ، نرى أن الأولى في الاستدلال لهذه السمة وهذه التسمية وهذا التأصيل لسمات البلاغة النبوية هو الاستدلال بالقرآن الكريم ، وقد جاء صريحاً جلياً مؤكداً بقوة في قوله تعالى: (ما على الرسول إلا البلاغ) وقال مخاطباً نبيه : (ان عليك إلا البلاغ) . وغير ذلك من نصوص القرآن الكثيرة .

ونضيف إلى هذا المقصد عنصراً هاماً وحيوياً وهو خلود الرسالة وعمومها لجميع الناس في جميع الأزمنة والأمكنة ، ومهمة الهداية الشاملة التي وضع نواتها القوية في الجزيرة ، وتم وضع النواة بأحكام قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى .

وهكذا أشعت سمة الابلاغ مع مقصد الهداية العامة في ثنايا الحديث ، وأثرت في انتقاء مفرداته وصياغته وتراكيبه حتى جاء بطابعه المتميز بما اتصف به من سمات عامة ومن خصائص اختص بها .

ونود أن نذكر بين يدي هذه الخصائص بالحاجة الماسة إلى الازدياد من هذا البحث وأن يدلي كل بدلوه فيه ، فان الدراسات في البلاغة النبوية وإن كانت قد حفلت بها مراجع شروح الحديث القديمة ، على طريقة شراح الحديث القدماء واكتفائهم باللمحة الوجيزة والاشارة العابرة ، لكنها لم تتوفر لها المراجع على الطريقة الأدبية الحديثة ، سوى شذرات وفصول يسيرة ، سلك أشهرها أسلوب العاطفة والسبك الأدبي ، وكتبت بوجدان الكاتب وعاطفته ، ونحن بحاجة إلى دراسة تحكم فيها الموضوعية بالأسلوب العلمي ، ونعلن هنا أن المراجع لذلك غير متوفرة بصورة كافية ، ولا قريبة من الكافية ، لذلك فأنا نبذل الجهد في حدود ما يسمح به المقام هنا في بحث محدود ومجال ضيق ، إلى أن تتاح الفرصة لدراسة أكثر استقصاء وتعمقاً واستيفاء ، سالكين طريقة الموضوعية والأسلوب العلمي ، وبالله التوفيق .

ونذكر من هذه الخصائص ما يلي :

١ - الاحاطة بلغات القبائل ومخاطبة كل قوم بلغتهم ، بل أنه يفوقهم فيها فقد أوتي الرسول كما قال الإمام القاضى عياض السبتي : (علم ألسنة العرب ، يخاطب كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغاتها ، ويباريها في منزع بلاغتها ، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه عن شرح كلامه ، وتفسير قوله ، من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه .

وليس كلامه مع قريش والأنصار وأهل الحجاز ونجد ، ككلامه مع ذى المِشْعار الهَمْداني ، وطَهْفَةَ النهدي ، وقُطَن بن حارثة العليمي ، والاشعث بن قيس ، ووائل بن حُجْر الكِنْدي ، وغيرهم من أقيال(٣٧) حضرموت ، وملوك اليمن .

وانظر كتابه إلى همدان : « ان لكم فِراعها وَوِهاطها وعَزازها ، تأكلون عِلافها ، وترعون عَفَاءها ، لنا من دِفْئِهم وصِرامهم ما سلّموا بالميثاق

والأمانة ، ولهم من الصدقة الثِّلْبُ ، والناب ، والفَصيل ، والغارض الداجن ، والكبش الحَوَرِيّ ، وعليهم فيها الصالغ والقارِح[٣٨] » .

وكقوله لعطية السعدي : « فان اليد العليا هي المنطية ، واليد السفلى هي المنطاة » قال عطية : فكلمنا بلغتنا[٣٩] . أي في الانطاء بمعنى الاعطاء .

وإنما كان هذا خصوصية ، لأنه لا يتأتى لأحد إلا عن تعليم أو تلقين وأخذ من احياء العرب حتى يفلي لغاتهم ، ومعلوم قطعاً ان الرسول لم يفعل ذلك ، ولا توفر له اطلاقاً ، بل أن العرب كانوا لا يستطيعون التحول عن لهجة قبيلتهم ، ولحن لغتهم ، كما أوضح في حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف ، فليس ثمة إلا أن تكون هذه خصوصية توقيعاً وإلهاماً من الله تعالى ، كما قال له : (وعلّمك ما لم تكن تعلم) .

ويشهد لهذا قول الإمام الشافعي وهو إمام في اللغة علماً وسليقة حتى إنه يُحْتَجُّ به في اللغة : (لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً ، وأكثرها ألفاظاً ، ولا نعلم أنه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي) .

٢ - الموضوعية في صياغة الكلام وتوجيهه ، وتجريده عن الأشخاص :

تلعب المناسبة التي هي سبب اطلاق العنان للبلاغة أثراً كبيراً في القول ، ونجدها ظاهرة في كلام الفصحاء واضحة المعالم ، لا يستطيع أن ينفك عن التأثر بها والتقيد بقيدها ، ولا أن يخرج عن أسرها .

أما الأحاديث فمع أنها في الأعم الأغلب جاءت عفوية كما ذكرنا لسبب سؤال أو حادثة أو نحو ذلك فانك تجدها متحررة من أسر العامل الشخصي في المناسبة ، بل من عوامل البيئة كلها ، والإنسان ابن بيئته لا يستطيع أن ينفك عنها .

وتجد الانطلاق من أسر المناسبة إلى الموضوعية المجردة والمتحررة عن قيد الزمان والمكان عاماً في الأحاديث النبوية ، حتى في الأمور المهمة ، التي يعز على البيان هذا التجرد في الموضوعية فيها .

فهذه الهجرة ، التي اعتبرها الصحابة والمسلمون أعظم أحداث السيرة وتاريخ الإسلام قد دخل موكبها إنسان لقصد شخصي هو الزواج ، فماذا كان المنطق النبوي ، لقد جاء الحديث في هذا الصدد بعيداً عن هذا الشخص ، وهو الحديث المشهور « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى » . متفق عليه(٤٠) .

وفي الحديث الصحيح عن ابن عمر أن النبي ﷺ سمع عمر وهو يحلف بأبيه ، فقال : « ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت »(٤١) .

فلم يخاطب عمر بن الخطاب وحده بهذا النهي والانكار ، بل قال (ينهاكم) خطاباً للجميع أي أيتها الأمة ، وهذا لأن المقصود هو الابلاغ ، كما قدمنا ، فضلاً عما ينبىء عنه هذا الأسلوب من خلقه العظيم الكريم الذي هو قدوة للمعلمين المربين ، ينبغي أن يقتدوا به ويأتسوا بطريقته .

على أنه قد يرد الحديث خطاباً موجهاً لشخص بعينه في مسألة ما تخصه ، وذلك لغرض تربوي لا يتم على الكمال إلا بمخاطبة الشخص بنفسه ، وهذا يعتبر من الابلاغ الذي تكلمنا عنه ، ومن ذلك حديث عبد الله بن عَمْرو بن العاص ، وكان عبدالله قد شدد على نفسه في العبادة ، فنهاه النبي ووجّهه : قال عبدالله : قال لي رسول الله ﷺ : « ألم أُخْبَرْ أنك تصوم النهار ، وتقوم الليل ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : فلا تفعل ، صم وأفطر ، وقم ونم ، فان لجسدك عليك حقاً ، وان لعينك عليك حقاً ، وان لزوجك عليك حقاً ، وان لِزَوْرِك عليك حقاً »(٤٢) .

٣ - وضعه مفردات وتراكيب جديدة :

فقد وقع في المحاورات النبوية والمحاضرات والخطب عبارات احتلّ بها مرتبة لا يقاس بها غيره ، وجاز فيها سبقاً لا يقدر قدره ، « مما لم يسبقه إليه عربي ، ولم يشاركه فيه عجمي . ولم يُدَّع لأحد ، ولا ادعاه . ما صار مستعملاً ، ومثلاً سائراً »(٤٣) .

والأمثلة في ذلك كثيرة نكتفي بنبذة يسيرة طلباً للاختصار ، من ذلك :

١ - « لا يُلْدَغُ المؤمنُ من جُحْرٍ واحدٍ مرتين »(٤٤) .
٢ - « الآن حمي الوطيس »(٤٥) .
٣ - « بُعِثْتُ في نَفَسِ الساعة »(٤٦) .
٤ - « رُوَيْدَكَ سَوْقَكَ بالقوارير »(٤٧) .
٥ - « لا تكـونوا إمَّعَة ، تقولون : ان أحسن الناس أحسنا ، وان ظلموا ظلمنا ، ولكن وَطِّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وان أساءوا فلا تظلموا »(٤٨) .
٦ - « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب(٤٩) .
٧ - اجتماع المقاصد الأدبية من حيث الصناعة اللغوية ، والصناعة البيانية ، والحكمة وتكاملها في الحديث النبوي :

ان التفوق في كل واحدة من هذه لا يكون إلا للقلائل ، فإذا اجتمعت في كلام وتوافقت وتكاملت رأيت من نتيجة ذلك كما يقول الرافعي(٥٠) : « نسقا في البلاغة فلما يتهيأ مثول أغراضه ، وتساوق معانيه لبليغ من البلغاء ، إذ يجمع الخالص من سر اللغة ، ومن البيان ، ومن الحكمة بعضها إلى بعض .

أما اللغة : فهو لغة الواضع بالفطرة القوية المستحكمة ، والمتصرف معها بالاحـاطـة والاستيعاب ، وأما البيان : فبيان أفصح الناس نشأة ، وأقواهم

مذهباً ، وأبلغهم من الذكاء والالهام ، وأما الحكمة : فتلك حكمة النبوة ، وتبصير الوحي ، وتأديب الله ، وأمر في الإنسان فوق الانسانية .

وما قط عرفنا بليغاً سلمت له جهات الصنعة في كلامه - من اللغة والبيان والحكمة - على أتمها ، بحيث لم يزغ عن قصد الطريقة ، ولا تحيفته احدى هذه الثلاث ، بادخال الضيم على أختيها في كلامه ، واستبانة أثرها فيه ، وغلبتها عليه » .

وقد أطال الرافعي في هذه الناحية ، والاشادة ، بهما مما يوقع في روع القارىء أنها منشأ خصائص البلاغة النبوية ، لكننا نرى المقصد الذي مهدنا به من الابلاغ والهداية العامة الشاملة هي الأصل الذي سبكت البلاغة النبوية في قوالبها لتحقيقها ، وإنما اجتماع جهات الصنعة خصوصية من خصوصيات البلاغة النبوية ، وان كانت ستقضي بالبحث إلى نتائج ، فستفضي بنا إلى الابداع في وضع المفردات واستعمال التراكيب الجديدة ، وإلى جوامع الكلم التي حان الوقت للبحث فيها .

٥ - جوامع الكلم :

وهي خصوصية مشهورة جداً ، تحدثت الأحاديث عن اعطاء الله إياها لنبيته في أحاديث كثيرة مستفيضة .

ومعنى جوامع الكلم : هو الكلام الذي قل عدد حروفه ، وكثرت معانيه ، وجل من الصنعة ، ونزه عن التكلف ، كما قال الجاحظ(٥١) .

والايجاز أبرز سمات البلاغة العربية ، حتى عرف بعض كبار العلماء البلاغة فقال : البلاغة الايجاز .

وكان الايجاز والاقلال من الكلام هو الطابع العام للحديث النبوي ، كما سبق أنه يحدث لوعدّه العادّ لأحصاه ، ولكن ذلك إنما كان عن كراهية

للتكلف . يشهد لذلك قول الجاحظ :

« والذي تجود به القريحة وتعطيه النفس سهواً رهواً مع قلة لفظه وعدد هجائه أحمد أمراً ، وأحسن موقعاً من القلوب ، وأنفع للمستمعين من كثير خرج بالكد والعلاج . . .

والدليل الواضح والشاهد القاطع قول النبي ﷺ : « نصرت بالرعب ، وأعطيت جوامع الكلم »(٥٢) وهي الألفاظ القليلة المحتوية على المعاني الكثيرة .

وقد وردت الأحاديث في كراهة الاكثار من الكلام ، وذم المبالغة والتكلف فيه ، ومن ذلك : « ألا أخبركم بأحبّكم إليّ وأقربكم مني مجالس يوم القيامة : أحاسنكم أخلاقاً ، الموطئون أكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون ، ألا أخبركم بأبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة الثرثارون ، والمتفيهقون »(٥٣) .

وكان من سنته ﷺ في الجمعة قصر الخطبة واطالة الصلاة . لكن ليس معنى هذا إنه لم يطل الخطبة أبد ، أو الخطاب ، كلا بل اننا نجد له الخطب الطوال في المناسبات المقتضية للطول ، كالمواسم ، مثل موسم الحج وخطبته المعروفة .

وقال أبو سعيد الخدري : « صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً صلاة العصر بنهار ، ثم قام خطيباً ، فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به ، حفظه مَنْ حفظه ، ونسيه مَنْ نسيه ، وكان فيما قال : ان الدنيا خضرة حلوة ، وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ؟ ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء . . . وذكر أبوسعيد حديثاً طويلاً ، ثم قال : وجعلنا نلتفت إلى الشمس هل بقي من النهار شيء ؟ فقال رسول الله ﷺ : ألا إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضىء منه »(٥٤) .

فهذه خطبة طويلة استمرت من بعد صلاة العصر إلى قبيل غروب الشمس ، لكنها ليست من باب الأطناب ، والتشدق والتكلف ، بل نجد

بالتأمل في الفقرات التي ذكروها منها أنها تسير على النَّفَس المعهود في الايجاز للحديث النبوي ، لكن المقام استدعى طول الكلام لكثرة المعاني ، وتفنن وجوه الأمر الذي يريد الحديث عنه ، فكثر اللفظ والكلام فيها ، لكن حذف الفضول منه غاية الحذف .

ونسرد فيما يلي جملة من أمثلة هذا الفن ، وتلكم الخصوصية من انتقاء إمام من أئمة البلغاء هو أبوإسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني في كتابه زهر الآداب ، مع ديباجته القيمة التي مهد لتلك الاختيارات . لكن نقتصر من اختياراته من جوامع الكلم على ما اشتهرت صحته رَوْماً لانشراح القارىء واطمئنانه ، وتحصيناً من الشك والوسواس بأن ، توهم أنا ننتحل أو نتكلف -حاشا لله- .

قال أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصر القيرواني(٥٥) :
« رجعت إلى ما قطعتُ مما هو أحق وأولى ، وأجل وأعلى ، وهو كلام رسول الله ﷺ : الكريم البحر ، الذي هو النهاية في البيان ، والغاية في البرهان ، المشتمل على جوامع الكلم ، وبدائع الحكم ، وقد قال رسول الله ﷺ : « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ، واستُرضِعْتُ في سعد بن بكر »(٥٦) ، وليس بعض كلامه بأولى من بعض بالاختيار ، ولا أحق بالتقديم والايثار ، ولكني أورد ما تيسر منه في أول هذا الكتاب استفتاحاً ، وتيمناً بذلك واستنجاها .

وهذه شذور من قوله ﷺ الصريح الفصيح ، العزيز الوجيز ، المتضمن بقليل من المباني كثير المعاني :

قوله عليه الصلاة والسلام : (المسلمون تتكافأ دماءِهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يَدٌ على مَنْ سواهم »(٥٧) .
(مطل الغني ظلم)(٥٨) .

(يد الله مع الجماعة)(٥٩) .
(الحياء شعبة من الإيمان)(٦٠) .
(وما قلّ وكفى خير مما كثُر وألْهى)(٦١) .
(كل مُيَسَّرٌ لِما خُلِق له)(٦٢) .
(دَعْ مايَرِيبُكَ إلى ما يَرِيبُك)(٦٣) .
(الناس كَإبلٍ مائة لا تَجد فيها راحلة)(٦٤) .
(الناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)(٦٥) .
(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً)(٦٦) .
(أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)(٦٧) .
(المُتَشَبِّعُ بما لم يُعْطَ كلابسٍ ثَوْبي زور)(٦٨) .
(المرأة كالضلع ، إن رمت قوامها كسرتها ، وإن دارَيْتها استمتعت بها)(٦٩) .
(اليد العُليا خير من اليد السُّفلى)(٧٠) .
(انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)(٧١) .
(الندم توبة)(٧٢) .

ومن روائع هذا الفن الأحاديث التي قيل أنها تجمع أمور الإسلام ، وعليها قام أساس الجمع للأربعين حديثاً التي استتمها الإمام النووي ، وعرفت بالأربعين حديثاً النووية ، وثمة مجموعات أخرى كثيرة أربعينات وغيرها ، لكن اشتهرت الأربعين النووية أكثر من غيرها وكثرت شروحها حتى لا تحصى .

ومن أروعها الأحاديث التي عليها مدار الإسلام ، وقيل في كل واحد منها إنه نصف الإسلام أو ثلث الإسلام ، وهي هذه الأحاديث الثلاثة :

١ - حديث عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله . ومن كانت هجرتها لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه)(٧٣) .

قال الشافعي فيما روى عنه : انه يدخل فيه نصف العلم .
وقال المحدث الحافظ حمزة والكناني : سمعت أهل العلم يقولون : هذا الحديث ثلث الإسلام والثلث الثاني :

ما رواه النعمان بن بشير ان رسول الله ﷺ قال : ان الحلال بيّن وان الحرام بيّن . وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ألا وإن لكل حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه(٧٤) .

قال : والثلث الثالث :
ما رواه مالك عن ابن شهاب عن علي بن حسين ان رسول الله ﷺ قال: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)(٧٥) .

ونكتفي بهذا القدر الموجز المختصر في هذا الفن الجليل ، ونختتم بهذه الكلمة القيمة للعلامة الرافعي التي تزيد جلاء منزلة جوامع الكلم في أدبنا العربي ، بل الأدب العالمي :

قال الرافعي : « وهذا الضرب من الكلام الجامع هو الذي يمتاز البليغ في كل أمة بالكلمة الواحدة من مثله ، أو الكلمتين ، أو الكلمات القليلة ، ولو ذهبت تحصيه في العربية ما رأيته إلا معدوداً ، على حين أن خطباءها وشعراءها وكتابها وأدباءها لا يأخذهم العد » على حين أن هذا الكلام الجامع هو الذي لا يأخذه العد في بلاغة الرسول الكريم وفرق هنا -لابد من ذكره- نميز به بين النبي ﷺ وسائر فصحاء العرب وبلغائهم ، ممن أصابوا حظاً من مثل هذه الكلمات ، أو عرفوا بالبيان والتقدم في هذه اللغة الشاعرة . . فان هؤلاء وان هذبوا الكلام وحذقوه ، وبالغوا في أحكامه وتجو يده -كما يقول الرافعي « إلا أن ذلك قد كان منهم عن نظر متقدم ، وروية مقصودة . . » .

بيد أن رسول الله ﷺ كان أفصح العرب ، على أنه لا يتكلف القول ، ولا يقصد إلى تزيينه . . . ، ولا تستنزلّه الفجأة وما يبده من أغراض الكلام(٧٦) عن الأسلوب الرائع ، وعن النمط الغريب والطريقة المحكمة ، بحيث لا يجد النظر إلى كلامه طريقاً يتصفح منه صاعداً أو منحدراً .

« ثم انت لا تعرف إلا المعاني التي هي الهام النبوة ، ونتاج الحكمة ، وغاية العقل وما إلى ذلك مما يخرج به الكلام وليس فوقه مقدار إنساني من البلاغة والتسديد وبراعة القصد »(٧٧) .

وما أحسن قول العقاد(٧٨) : « إلا أن الابلاغ أقوى الابلاغ في كلام النبي هو اجتماع المعاني الكبار في الكلمات القصار ، بل اجتماع العلوم الوافية في بضع كلمات ، وقد يبسطها الشارحون في مجلدات » .

ومن أمثلة ذلك في العلم بالتبعات ، قوله عليه السلام : « أشدُّ الناس بلاءً الأنبياءُ ، ثم الصالحون ، ثم الأَمْثَلُ فالأَمْثَل »(٧٩) .

فالمزايا الإنسانية واجبات وأعباء ، وليست بالمتع والأزياء ، وعلم الإنسان بالخير والشر يفرض عليه الفرائض التي يبتلى بها ، ولا يهنئه بالراحة التي يصبو إليها ، وهو محسوب عليه . وكذلك ذكاؤه محسوب عليه . وأمثال هذه الأحاديث في أصول السياسة والأخلاق والاجتماع مما لا يتناوله الاحصاء في هذا المقام .

كان محمد فصيح اللغة ، فصيح اللسان ، فصيح الاداء . وكان بليغاً مبلغاً ، على أساس ما تكون بلاغة الكرامة والكفاية ، وكان بلسانه وفؤاده من المرسلين ، بل قدوة المرسلين .

٦ - عصرية أسلوب الحديث لكافة الأزمان :

كم من الأدباء الكبار من احتل في عصره القمة ، وصارت إليه عمادة

الأدب والقدوة ، لكنه عفى على أدبه الزمن لتغير الذوق أو الاعتبارات أو غير ذلك من عوامل ، لكن بلاغة الرسول المبلغ مدى الزمن والعصور ، قد تجاوزت حدود الزمان والعصر ، لأنه جاء بهداية عامة لكل الناس في كل زمان ومكان .

وفي هذا يقول الرافعي(٨٠) : « ولذا ترى كلامه ﷺ يخرج من حدود الزمان ، فكل عصر واجد فيه ما يقال له ، وهو بذلك نبوّة لا تنقضي ، وهو حي بالحياة ذاتها ، وكأنما هو لون على وجه منها ، كما ترى البياض مثلاً هو اللون على وجه طائفة من الجنس البشري » .

ويقول العقاد(٨١) : « ولمن شاء أن يحسب أسلوب النبي -كتابة وخطابا- أسلوباً عصرياً يقتدى به المعاصرون في زماننا هذا وفي كل زمان . لأن الأسلوب الذي يخرج من الفطرة المستقيمة ، هو أسلوب عصري في جميع العصور » .

ونكتفي بهذا القدر في بيان معالم البلاغة النبوية وخصائها ، وان كان لا يفي جزءاً من حقها ، فلا ضمير أن نصف النجم في سراه ، وان لم نستقر في ذراه ، وما شهدنا إلا بما علمنا ، وان قصر القلم بنا عما أردنا ، ونقول ما قال الجاحظ(٨٢) : (ولعل بعض من لم يتسع في العلم ، ولم يعرف مقادير الكلام ، يظن أنا تكلفنا من الامتداح والتشريف ومن التزيين والتجويد ما ليس عنده ، ولا يبلغه قدره ، كلا والذي حَرّم التزيد على العلماء ، وقبّح التكلف عند الحكماء ، وبهرج(٨٣) الكذابين عند الفقهاء ، ما يظن هذا إلا من ضل سعيه) .

وختاماً لهذا البحث فان القول ما قاله السبط الشهيد الحسين رضي الله عنه وأرضاه :

« لن يؤدى القائل -وان أطنب- في صفة الرسول ﷺ من جميع جزءاً » .

الهوامش

(١) هو يونس بن حبيب الضبي ، ولاء . كانت حلقته بالبصرة ينتابها طلاب العلم ، وأهل الأدب ، وكانت مجمع فصحاء الاعراب ووفود البادية . انظر ترجمته في معجم الأدباء لياقوت ج٢٠ ص٦٤ . والاعلام للزركلي ج ٩ ص ٣٤٤ .

(٢) أورد هذه الكلمة عنه الجاحظ في البيان والتبين ج ٢ ص ١٩ ، قال : وقال محمد بن سلام قال يونس بن حبيب. . . فذكر سنده بها وهو سند صحيح .

(٣) في ديباجة كتابه « الفائق في غريب الحديث » . وهو مصنف في شرح مفردات الأحاديث على ترتيب المعجم .

(٤) متفق عليه بلفظ : « وأعطيت . . . » ، كما سيأتي .

(٥) أخرجه الطبراني بلفظ : « أنا أعرب العرب ، ولدتني قريش . . . » الجامع الصغير بشرحه ج٣ ص٣٨ .

قوله : نكص : تأخر وغلب ، متفكك الرجل : كناية عن الاخفاق ، المصقع .
بوزن المنبر : البليغ والذي لا يرتج في كلامه . يناهزه : يدانيه .
السَّجْل : بفتح السين وسكون الجيم : الدلو ، والعبارة كناية عن الإخفاق أيضاً . البِرْذَوْن : يطلق على نوع غير عربي من الخيل والبغال ، ضخم غليظ الأعضاء ، المُطَهَّم : التام المتناهي الحسن .
الوضح : الضوء وبياض الصبح ، نقبة الادهم : آفته من داء أو جرب والادهم الأسود من الإبل والخيل .

(٦) في كتاب الشفاء : ص ١٧٥ - ١٧٧ بشرحه للعلامة المحدث على القارىء .

(٧) المنزع : منتهى الأمر ، من نزع في القوس إذا مدها إلى غايتها . المقاطع من القرآن ، مواضع الوقوف . نصاعة اللفظ : الناصع الخالص من كل شيء ، جزالة القول : الجزل من الكلام القوي ، وهو يقابل الرقيق . سبر الكلام : التعمق في فهمه ، وأصل السبر اختبار غور الجرح .

(٨) البخاري في أول الإيمان ج١ ص٧ ومسلم في الإيمان (بيان أركان الإسلام) رقم٢١ .

(٩) في كتابه عبقرية محمد ص ٨٢ .

(١٠) أخرجه أبو داود عن ابن مسعود في الأدب (ما جاء في التشدق) رقم ٥٠٠٥ والترمذي في الأدب (في الفصاحة والبيان) وعن عبد الله بن عمرو في الموضع نفسه رقم ٢٨٥٧ . وهو حديث صحيح .

(١١) المتفق عليه : البخاري في الديات ج٩ ص١١ ومسلم في القسامة ج٣ ص١٣٠٩ .

(١٢) البيان والتبيين ص٣٨٧ - ٣٨٨ .

(١٣) أخرجه الترمذي في الدعوات (باب ٦٩) ج ٥ ص ٥١٩ والنسائي في الاستفادة ج٨ ص٢٦٣ - ٢٦٤ وصححه الترمذي .

(١٤) أخرجه البخاري في الأنبياء (واتخذ الله إبراهيم خليلا. . .) ج٤ ص١٤٧ والترمذي في الطب بلفظ «أعيذُ لما. .» (باب ١٨) رقم ٢٠٦١ وأبوداود في السنة (باب في القرآن) رقم ٤٧٣٧ .

(١٥) متفق عليه : البخاري في البيوع (إذا اشترط شروطاً في البيع لا تحل) ج٣ ص٧٣ ومسلم بلفظه في العتق ص١١٤٢ .

(١٦) متفق عليه : البخاري في الأدب (عقوق الوالدن) ج ٨ ص ٤ ومسلم في الأقضية (النهي عن كثرة المسائل. . .) ص ١٣٤١ .

(١٧) عبقرية محمد ص ٨٤ .

(١٨) البخاري في الأدب (من أحق الناس بحسن الصحبة) ج٨ ص٢ ومسلم في البر والصلة (بر الوالدين) ص ١٩٧٤ .

(١٩) انظر نص الخطبة مطولاً في صحيح مسلم (باب صفة حج النبي ﷺ) ومفرقا على أبواب في البخاري وغيره .

(٢٠) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير مادة (ذلك) .

(٢١) البخاري في الأذان (وجوب الجماعة) ج١ ص ١٢٧ ومسلم في المساجد (فضل صلاة الجماعة) ص ٤٤٩ .

(٢٢) متفق عليه : البخاري في الحدود (باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع. .) ج٨ ص١٦٠ ومسلم في الحدود أيضاً رقم ١٦٨٨ .

(٢٣) المسند ج ٤ ص ٢٣٠ ومسلم بلفظه في صفة الجنة (فناء الدنيا. .) ص ٢١٩٣ والترمذي في الزهد رقم ٢٣٢٢ وابن ماجه في الزهد رقم ٤١٠٨ .

(٢٤) ارشاد الساري شرح صحيح البخاري ص ١٣٩ - ١٤٠ . ج ١٠ ص ٢٩٤ - ٢٩٥ . والحديث متفق عليه وهذا اللفظ للبخاري في آخر كتاب ترك الحيل .

(٢٥) في فصل البلاغة النبوية من كتابه اعجاز القرآن ص ٣٥٩ .

(٢٦) عبقرية محمد ص ٨٢ - ٨٣ .

(٢٧) اعجاز القرآن ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٢٨) ج ٢ ص ١٧ - ١٨ .

(٢٩) من الآية ٨٦ من سورة ص ، ونص الآية « قل ما سألتكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين » .

(٣٠) التقعير : وهو أن يتكلم بأقصى قعر فمه .

(٣١) الفلج : بالفتح وبالتحريك أيضاً الظفر والغلب ، والفوز بالطلب .

(٣٢) الخلابة : المخادعة .

(٣٣) الهمز : التعيب في الغيبة ، واللمز التعييب في الحضرة .

(٣٤) حَصِر من باب تعب : عيّ في كلامه .

(٣٥) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ص ٣٦٢ و ٣١٢ - ٣١٣ .

(٣٦) أخرجه أبو يعلي والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر وأخرجه الدارقطني عن ابن عباس . فيض القدير ج ١ ص ٥٦٣ . وأصله في الصحيحين كما أشرنا فيما سبق . وسيأتي .

(٣٧) أي ملوك أو أمراء .

(٣٨) الفراع : ما ارتفع من الأرض ، والعزاز : ما خشن وصلب من الأرض ، عفاءها : هو الذي ليس لأحد فيه ملك ولا أثر . دفئهم : المراد هنا الأنعام ، سميت دفئاً لأنها يتخذ من أوبارها وأصوافها وأشعارها ما يستدفأ به من الملابس وغيرها ، الصرام ، النخيل أو الثمار ، لأنها تصرم ، أي تقطع . الثلب : الهرم من ذكور الإبل ، الناب : الهرمة من إناث الإبل ، الغارض : المسن

من الإبل والبقر ، الداجن : الذي ألف البيوت ، الحَوَرى كبش جلده أحمر . والمعنى أن هذه لا تؤخذ منهم في الزكاة إما لنفاستها كالحورى أو خساستها كالهرم .

والصالغ : ما دخل السنة السادسة من البقر والغنم .

والقارح : ما دخل في السنة الخامسة من الخيل .

(٣٩) أخرجه الحاكم والبيهقي وصححه . وهو في الصحيحين من حديث حكيم بن حزام بلغة قريش : البخاري في الزكاة (لا صدقة إلا عن ظهر غنى) ج٢ ص١٢ ومسلم في الزكاة (بيان أن اليد العليا خير. .) رقم ١٠٣٥ .

(٤٠) البخاري في أول صحيحه ومسلم في الإمارة رقم ١٩٠٧ .

(٤١) البخاري أول الإيمان ج٨ ص١٣٢ ومسلم في الإيمان (النهي عن الحلف بغير الله) رقم ١٦٤٦ .

(٤٢) متفق عليه : البخاري في الصوم (حق الجسم والصوم) وما بعد ج٣ ص ٤٩ - ٥٠ ومسلم (النهي عن صوم الدهر) رقم ١١٥٩ .

(٤٣) التمهيدُ والأمثلةُ من الشفا للقاضى عياض ج ١ ص ١٩٣ - ١٩٥ والبيان والتبين للجاحظ ج ٢ ص ١٦ - ١٧ .

(٤٤) متفق عليه : البخاري في الأدب ج ٨ ص ٣٨ ومسلم في الزهد (لا يلدغ المؤمن من جُحر واحد. .) رقم ٢٩٩٨ . والحديث مشهور بدون لفظ « واحد » . لكنه في المصادر كما أثبتناه . وهو جزء من حديث طويل .

(٤٥) أخرجه مسلم في الجهاد في ضمن حديث طويل في قصة الهجوم في حنين رقم ١٧٧٥ وأحمد كذلك ج١ ص ٢٠٧ كلاهما بلفظ « هذا حين حمى الوطيس » .

(٤٦) أخرجه الترمذي في الفتن (باب قول النبي ﷺ بُعثتُ أنا والساعة. .) رقم ٢٢١٤ . وله شاهد في الصحيحين .

(٤٧) متفق عليه : البخاري في الأدب (ما يجوز من الشعر. .) بلفظ : « رويدك يا أَنْجَشَةُ. . » ج ٨ ص ٣٥-٣٦ ومسلم في الفضائل » . رحمة النبي ﷺ للنساء. .) وفيه : « رُوَيْداً سُوْقَك. . » رقم ٢٣٢٣ .

وأَنَجَشَةُ : الرجل الذي كان يحدو الابل ، فأسرعت كثيراً .

(٤٨) أخرجه الترمذي في البر والصلة (الاحسان والعفو) رقم ٢٠٠٧ وحسّنه .

(٤٩) متفق عليه : البخاري في الأدب (الحذر من الغضب) ج ٨ ص ٢٨ ومسلم في البر والصلة (فضل من يملك نفسه عند الغضب) رقم ٢٦٠٩ .

(٥٠) اعجاز القرآن ص ٣٦٠ وما بعد .

(٥١) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٧ .

(٥٢) متفق عليه : البخاري في الجهاد ج ٤ ص ٥٤ ومسلم بلفظه في أول المساجد رقم ٥٢٣ .

(٥٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج ١٠ ص ١٩٤ والترمذي بنحوه في البر والصلة (معاني الأخلاق. .) رقم ٢٠١٩ .

(٥٤) أخرجه الترمذي في الفتن (ما أخبر به النبي ﷺ أصحابه) رقم ٢١٩٢ وقال : «حسن صحيح». وانظر أصله في مسلم رقم ٢٧٤٢ .

(٥٥) زهر الآداب وثمر الألباب ج١ ص ٢٣ .

(٥٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ج ١ ص ١١٣ وابن إسحاق كما في البداية لابن كثير ج ٢ ص ٢٥٧ ، وانظر نحوه فيما سبق .

(٥٧) أخرجه أبو داود في الجهاد (باب في السرية) رقم ٢٧٢١ والديات ٤٥٣٠ والنسائي بلفظ «المؤمنون. .» في القسامة ج٨ ص٢٤ وابن ماجه ٢٦٨٢ و ٢٦٨٤ .

(٥٨) متفق عليه : البخاري في الاستعراض (مطل الغني ظلم) ج٣ ص١١٨ ومسلم في المساقاة «تحريم مطل الغني. .» رقم ١٥٦٤ .

(٥٩) أخرجه الترمذي في الفتن (لزوم الجماعة) رقم ٢١٩٧ و٢١٩٨ والقضاعي . في مسند الشهاب رقم ٢٣٩ . وله شواهد كما في آخر فيض القدير .

(٦٠) متفق عليه : البخاري في الإيمان (أمور الإيمان) ج١ ص٧ ومسلم (بيان عدد شعب الإيمان) رقم ٣٥ .

(٦١) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج ٢ ص ٤٤٤ - ٤٤٥ من المستدرك . وأخرجه أحمد والطبراني في الكبير وأبويعلي مجمع الزوائد ج١٠ ص٢٥٥ وسند أبي يعلي رقم ٤٧٨٨ .

(٦٢) متفق عليه : البخاري في التوحيد (ولقد يسرنا. .) ج٩ ص١٥٩ ومسلم في القدر رقم ٢٦٤٩ .

(٦٣) أخرجه النسائي في الأشربة (الحث على ترك الشبهات) ج ٨ ص ٣٢٧ والحاكم في المستدرك ج ٢ ص ١٣ وصححه ووافقه الذهبي .

(٦٤) متفق عليه : البخاري في الرقاق (رفع الأمانة) ج ٨ ص ١٠٤ ومسلم آخر فضائل الصحابة رقم ٢٥٤٧ كلاهما بنحوه ، ومن لفظه « . .لا تكاد وتجد. .» .

(٦٥) متفق عليه : البخاري في الأنبياء (يا أيها الناس إنا خلقناكم) ج ٤ ص ١٧٨ ومسلم بنحوه في فضائل الصحابة (خيار الناس) رقم ٢٦٣٨ .

(٦٦) متفق عليه في ضمن حديث : البخاري وفي آخره « وشبك أصابعه » في المساجد (تشيك الأصابع. .) ج١ ص٩٩ ومسلم في البر والصلة (تراحم المؤمنين) رقم ١٥٨٥ .

(٦٧) رواه البيهقي وأسنده الديلمي ، ورواه الدارمي وابن عدي . كشف الخفاء ج١ ص ١٤٧ . واتحاف السادة المتقين ج٢ ص٢٢٣ . والمراد علماؤهم والله أعلم .

(٦٨) متفق عليه في ضمن حديث : البخاري في النكاح (المتشبع بما لم ينل) ج٧ ص٣٥ ومسلم في اللباس والزينة (النهي عن التزوير. .) رقم ٢١٢٩ و٢١٣٠ ، ولابس ثوبي زور : الذي يلبس كُمّا تحت كُمّ ثِوبه يوهم أنه لابس ثوبيك ، وهو واحد ، أو نحو ذلك .

(٦٩) كذا أورده وهو متفق عليه بنحوه البخاري في النكاح (اعداءة مع النساء) ٧٢٠ ص ٢٦ ومسلم في الرضاع (الوصية بالنساء) رقم ٤٦٨ .

(٧٠) متفق عليه : البخاري في الزكاة (لا صدقة إلا من ظهر غنى) ج ٢ ص ١١٥ ومسلم منها رقم ١٠٣٥ .

(٧١) متفق عليه : البخاري في المظالم (أعن أخاك . .) ج٣ ص١٢٨ ومسلم في الإكراه (يمين الرجل. .) رقم ٦٩٥٢ .

(٧٢) أخرجه ابن ماجه في الزهد (ذكر التوبة) رقم ٤٢٥٢ والحاكم في المستدرك ج٤ ص٢٤٣ وصححه ووافقه الذهبي وابن حبان ، ج٢ ص٦ من كتاب الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان .

(٧٣) متفق عليه . كما سبق .

(٧٤) متفق عليه : البخاري في الإيمان ج١ ص١٦ ومسلم رقم ١٥٩٩ .

(٧٥) كذا أخرجه من طريق مالك ص ٦٥٠ وقد أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ رقم ٢٣١٩ وعن أبي هريرة ٢٣١٨ .
وأخرجه ابن ماجه في الفتن (كف اللسان في الفتنة) رقم ٣٩٧٦ . ورواه أحمد والطبراني في الثلاثة ورجال أحمد والكبير ثقات . مجمع الزوائد ج ٨ ص ١٨ .

(٧٦) أي ما يقتضيه المقام من القول بالبداهة ، وما تستلزمه المفاجآت الكثيرة من أغراض الكلام التي تحتاج إلى تحضير الكلام واعداده سابقاً .

(٧٧) انظر فصل البلاغة النبوية ص ٣١٣ - ٣١٤ .

(٧٨) في عبقرية محمد ص ٨٨ - ٨٩ بتصرف يسير جداً .

(٧٩) أخرجه ابن ماجه في الفتن (الصبر على البلاء) رقم ٤٠٢٤ والترمذي في الزهد (الصبر على البلاء) فيه ضمن حديث رقم ٢٤٠٠ وصححه .

(٨٠) وحي القلم ج ٣ ص ١٧ .

(٨١) عبقرية محمد ص ٨٦ - ٨٧ .

(٨٢) البيـان والتبيين ج ٢ ص ١٩ .

(٨٣) بهرج : أي زيف وأسقط .

ثبت المصادر(١)

- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين لمحمد الزبيدي . تصوير بيروت .
- الاحسان بترتيب صحيح ابن حيان ، للأمير الفارسي . ط دار الكتب العلمية . بيروت .
- إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري ، للقسطلاني ، طبع بولاق . السادسة .
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، لمصطفى صادق الرافعي . مطبعة الاستقامة . السادسة .
- الأعلام ، لخير الدين الزركلي . ط. دار العلم للملايين . بيروت .
- البيان والتبيين ، للجاحظ ، تحقيق حسن السندوبي . ط. مصر .
- الجامع الصحيح ، للبخاري ، ط. بولاق الثالثة . سنة ١٣١٣هـ .
- الجامع (السنن) للترمذي . طبع مصطفى البابي الحلبي .
- زهر الآداب وثمر الألباب ، للمصري القيرواني . ط. مصر .
- السنن ، لأبي داود السجستاني . ط. التجارية . الأولى .
- السنن لابن ماجة القزويني . ط. دار إحياء الكتب العربية . القاهرة .
- الشفافي التعريف بحقوق المصطفى للقاضى عياض بن موسى ، مع شرحه للقارىء . ط. استانبول .
- صحيح مسلم بن الحجاج . تحقق محمد فؤاد عبد الباقي . ط. مصر .
- عبقرية محمد ، لعباس محمود العقاد ، ط. دار المعارف . مصر .
- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للمنادي تصوير بيروت .
- الفائق في غريب الحديث ، للزمخشري . ط. مصر .

---

* مع تفصيل بيان الطبعة عند الحاجة .

- كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني ، ط. دار التراث. حلب.
- المجتبي (السنن الصغرى) للنسائي . تصوير بيروت .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيثمي ، ط. القديسي ، مصر .
- المستدرك على الصحيحين ، للحاكم ، وبذيله تلخيص المستدرك للذهبي . ط. الهند .
- مسند الشهاب للقضاعي ، ط. مصر .
- المسند ، للإمام أحمد ؛ ط. مصطفى البابي الحلبي ، مصر .
- المسند ، لأبي يعلي الموصلي ، ط. دار المأمون للتراث . دمشق .
- معجم الأدباء ، الياقوت الحموي ، ط. مصر .
- الموطأ ، للإمام مالك ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط. دار إحياء الكتب العربية .
- النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير ، ط. دار إحياء الكتب العربية .
- وحي القلم ، لمصطفى صادق الرافعي ، ط. مصر .